بذل الجهد في طلب العلم

لا شك أن العلم الشرعي هو علم الكتاب والسنة، ووسائل ذلك، رد بعض العلماء كابن عبد البر -رحمه الله- على من يركز على بعض العلوم الآليَّة كقول بعض الشعراء: وإذا طلبت من العـلوم أهمهـا فأهمهـا منهـا مقيـم الألسـن انتقده، وقال: فإذا طلبت من العـلوم أهمهـا فأهمهـا عنـد التقـي المـؤمن علم الديـانة يا فتى فاظفـر به ..... إلى قوله: هـذا الصحيح ولا مقـالة جاهـل فأهمهـا منهـا مقيـم الألسـن لـو كـان ذا فقه لقـال مبـادرا فأهمهـا منهـا مقيـم الأديـن ويقول بعض العلماء شعرا: كل العلوم سـوى القـرآن مشغلة إلا الحـديث وإلا الفقـه في الديـن العلـم مـا كـان فيـه قال حدثنا وما سـوى ذاك وسواس الشـياطين يركز على العلم الشرعي الذي رواه العلماء بأسانيدهم، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- . ويقول أيضا بعضهم: العلـم قـال الله قـال رسـوله قـال الصحـابـة ليس خـلف فيه ما العـلم نصبك للخـلاف سفاهة بيـن النصـوص, وبين رأي فقيـه فنتواصى بأن يكون تنافسنا في العلم الشرعي، الذي مدحه الله تعالى ومدح أهله، ونعرف أنه لا يُنال بمجرد التمني، بل لا بد أن يكون له وسائل ينال بها. روي عن الإمام الشافعي -رحمه الله- أنه قال: العلم بطي اللزام، بعيد المرام، لا يدرك بالسهام، ولا يورث عن الآباء والأعمام، إنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس، ولا تغرس إلا في النفس، ولا تسقى إلا بالدرس، ولا يحصل إلا بالاستناد إلى الحجر، وافتراش المدر، ولا يحصل إلا لمن أنفق العينين، وجثا على الركبتين ..... إلى آخر كلامه -رحمه الله- يمثل صعوبة الحصول على العلم، وأنه لا يحصل بالتمني، وإنما يحصل ببذل الجهد. وقد كان السلف -رحمهم الله تعالى- يبذلون الجهد في تحصيل العلم، فيسهرون الليالي في المذاكرة، ويقطعون المسافات الطويلة التي تستغرق شهرا، وأشهرا في سبيل الحصول على شيء من الأحاديث النبوية التي لم تكن في بلادهم، ويتغربون عن بلادهم الشهر، والأشهر، وربما السنة، والسنوات، حتى ذكروا أن محمد بن إسحاق بن منده تغرب عن بلده في طلب العلم أربعين سنة، ثم عاد بعدها، وقد حمل بعيرا، أو أكثر من الكتب التي تحصل عليها، إما نسخا، وإما شراء أو نحو ذلك، كل ذلك يدل على أنهم تعبوا في تحصيل العلم. في بلادنا، وفي زماننا هذا -والحمد لله- لا يحصل تعب، ولا مشقة؛ لوجود الوسائل التي تنقل الإنسان من مكان إلى مكان في أقرب وقت، وكذلك أيضا الوسائل التي يتوصل بها إلى الاتصال بمن يريد، فيسأل عن ما يريد، وهكذا أيضا انتشار وسائل العلم: كالكتب التي يسر الله تعالى وجودها، وطبعها، ونشرها، وكالأشرطة، وما أشبهها فأصبح العلم الشرعي في متناول الأيدي يتناوله، ويحصل عليه من أراده بدون كلفة، أو مشقة.